قبائل الفلان:

التراث الثقافي والحياة الاجتماعية والاقتصادية في القرنين 18 و19م

محمد ترمزي / عبد الرحمان نواصر

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست- جامعة أمين العقال
الحاج موسى أق اخاموك- تامنغست- ولاية تامنغست- الجزائر

تُعَدُّ قبائل الفلان واحدة من أكثر المجتمعات إثارةً للاهتمام في تاريخ غرب إفريقيا، حيث تتميز بتنوعها الثقافي وتعقيدها الاجتماعي. تمتد جذور هذه القبائل إلى أعماق التاريخ الإفريقي، حيث مارست دوراً مهماً في تشكيل النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة. على مدار القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شهدت قبائل الفلان تحولات كبيرة أثرت في جميع جوانب حياتهم، من البُعد الثقافي إلى الاجتماعي والاقتصادي.

خلال القرنين الثامن عشـــر والتاسع عشر كانت غرب إفريقيا تشـــهد تغييرات ملحوظة علـــى الصعيدين المحلي والعالمي، كانت هذه الفترة شـــهدت ظهور قوى استعمارية جديدة وصراعات داخلية بيـــن القبائل والممالك، لقد كان للفلان، بفضل موقعهم الإستراتيجي ونمط حياتهم البدوي، دورٌ مهم في التفاعل مع هذه التغيرات، لقد تطوروا من قبائل رعويـــة إلى قوى اجتماعية واقتصاديـــة بارزة في المنطقة، حيث حافظوا على هويتهم الثقافية رغم التحديات.

مـــن خلال دراســـة التـــراث الثقافي للفـــلان؛ يمكننا الحصول على رؤى حول كيفية تطور العادات والتقاليد عبر الزمن، وكيفية تأثير العوامل الخارجية في الهويات الثقافية المحلية، ويتضح ذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيـــف تأثرت الثقافة الفلانية بالتغيرات السياســـية والاقتصادية في القرنين الثامن عشـــر والتاسع عشر، وما هي الخصائـــص الثقافية التي حافظت عليها القبائل خلال هذه الفترة؟

- ما هو الهيـــكل الاجتماعي لقبائل الفلان خلال هذه الفتـــرة، وكيف تطـــورت أدوار العائلات والعشـــائر في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية؟

- كيف أثر النشـــاط الاقتصادي، مثل الرعي والتجارة، فـــي حياة قبائـــل الفلان، وكيفيـــة تعاملهم مـــع التحديات الاقتصادية التي واجهوها في ظل الظروف المتغيرة؟

يســـعى البحث إلـــى تقديم رؤية وصفيـــة حول كيفية تفاعـــل قبائل الفلان مع التغيرات التي شـــهدتها منطقتهم خلال الفترة المدروســـة، وكيفية تأثير هـــذه التغيرات في تشـــكيل هويتهـــم الثقافية والاجتماعية. مـــن خلال تحليل مدعوم بمصادر متنوعة؛ يهدف البحث إلى تســـليط الضوء علـــى أهمية قبائل الفلان في تاريـــخ إفريقيا وتطورها عبر الزمن، مما يسهم في فهم أعمق لآليات التغيير والثبات في المجتمعات التقليدية.

أولاً: الشعب الفولاني الجذور الجغرافية والانتماء:

يظهر اسم «الفلان» في المصادر والمراجع، وتنطق به ألســـنة الناس بعدة صور، وذلك بسبب انتشارهم وتوزيعهم الجغرافي، مما أدى إلى اختلاف تســـميتهم واتساع رقعتهم وتبايـــن صفاتهم، ومـــن ثَمّ تنوعت وتشـــعبت آراء الباحثين والدارســـين حول مسألة أصلهم. ســـنحاول من خلال هذا المحور تســـليط الضوء على الشعب الفولاني بهدف معرفة أصلهـــم ومواطن وجودهـــم، وأهم خصائصهـــم الطبيعية وملامحهم البشرية.

(أ) الجذور الجغرافية:

الفولان يعيشـــون في منطقة تُعـــرف ببلاد فوتا، والتي تقع في الأودية الوسطى لنهر السنغال بين صحراء موريتانيا ومنحدرات منطقة ســـني غامبيا، على بعد حوالي ١٠٠ ميل شمال المحيط الأطلسي. وتنقسم بلاد فوتا إلى أربعة أجزاء رئيسة:

- فوتا تورو في السنغال وموريتانيا.
- فوتا جالون في غينيا.
- فوتا بوندو في مالي.
- فوتا ملى في بلاد آداماوا (بنيجيريا والكاميرون)[١].

وقد تحدث عن ذلك المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد، حيث قال: «في بلاد تكرور وكانم، أهلها فيهم حُسن وجمال وملامح كما في الزغاوة من السودان»[٢].

(ب) التوزيع الإقليمي والتسميات المتنوعة:

تنتشـــر قبائل الفولاني في العديد من مناطق إفريقيا، وقد أدى هذا الانتشار إلى تباين أسماء القبيلة من إقليم إلى آخر[٣]، وذلك تبعاً لاختلاف لغة الشعوب التي تجاورهم في كل إقليم. فمثلاً؛ يســـميهم جيرانهم في الهوســـا بـ«فلاني» أو «فيلاني» أو «هيلاني». كما أطلق أهل برنو والســـودانيون عليهم اســـم «فلاتا» Fellata، وهي تسمية عربية قد يكون

(١) عثمان برايم باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط١، القاهرة، دار الأمين، ٢٠٠٠م، ص١٨٥.

(٢) شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مدينة بطرسبورغ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥م، ص (٢٤٠-٢٤١).

(٣) Keven shillington ,Encyclopedia of African history , Taylor &Froncis group NewYork London, 2005, p.915.

مصدرها «الفلات» من الحدود[١].

أما الولوف فيطلقون عليهم اسم «بوب» Bob، في حين يطلق الماندينغ عليهم اسم «فولا» Fula. الفرنسيون يسمونهم «بيول» Peul للمفرد و«بيولس» Peuls للجمع. بينما يطلق الإنجليز عليهم اسم «فولب» Fulbe. أما هم فيطلقون على أنفسهم اسم «بولو» Pollo للمفرد و«فولابي» Folabi للجمع[٢].

أما لغتهم؛ فهي تُعرف بـ«فولفولدي» أو «هالابولار». ومن المحتمل أن يكون أصل التسمية قد جاء من كلمة «بول» بمعنى الجماعة، أو من كلمة «فولادي» أو «فولتادي» التي تعني «فردي»، أو «فرغول» بمعنى الهجرة باللغة الفولانية. ويبدو أن هذا يشير إلى كثرة التنقل من مكانٍ إلى آخر، وهو ما يتماشى مع وصف حياة الشعب الفولاني باعتبارهم رعاة أبقار وممارسي تربية الحيوانات عموماً[٣].

لقد اختلفت آراء المؤرخين وعلماء الأجناس والآثار واللغويين حول مسألة أصل قبائل الفولاني، حيث اختار كل منهم رأياً خاصاً، يمكننا الآن عرض جملة من هذه الآراء والأطروحات.

(ج) الأنماط الجغرافية لهجرة قبائل الفلان:

انتشرت شعوب الفولاني منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، بدءاً من مناطق الصحراء الكبرى في شمال غرب إفريقيا، وصولاً إلى مناطق السافانا في وسط وغرب إفريقيا، بما في ذلك جنوب موريتانيا، وشمالي نيجيريا، والسنغال، وغينيا، وجزء من غامبيا[٤]. غير أن هذا الانتشار لم يُحدد بفترة زمنية معيّنة؛ حيث يرى البعض أنهم قد هاجروا صوب الشرق منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي، واجتازوا أرجاء السودان الغربي إلى مناطق وسط إفريقيا وجنوبها وشرقها، وصولاً إلى شبه الجزيرة العربية[٥]. وقد نجم عن هذا الانتشار[٦] وجود الفولانيين في العديد من مناطق داخل إفريقيا وخارجها.

وقد كان وراء هجرة الشعب الفولاني من موطنه الأصلي عدة أسباب، لعل أبرزها يتعلق بالسعي وراء المراعي والأراضي الخصبة الصالحة لتربية الماشية والزراعة، حيث إن ندرة موارد الرعي، وانتشار الأمراض، وعدم الاستقرار السياسي في مناطق الرعي، كلها أسباب رئيسة دفعت قبائل الفولاني للارتحال والبحث عن موطن آخر يضمن لهم ولقطعانهم الظروف الملائمة للعيش. ومن ثَمّ؛ فإن هجرة قبائل الفولاني كانت بمثابة شرط ضروري لتحقيق نمو اقتصادي أفضل[٧].

ذكر الشيخ محمد بيلو أن قبائل الفولاني افترقوا إلى ثلاث فرق؛ دخلت فرقة إلى بلاد فوتاتورو، وفرقة أخرى إلى فوتاجالون وسكنوا هناك، أما الفرقة الأخيرة فقد عزمت على السير إلى الشرق ليلتحقوا بقبائل آبائهم العرب، ومضوا حتى وصلوا إلى هذه البلاد وأقاموا فيها، واستمر بعضهم حتى وصلوا إلى بلاد العرب واندمجوا معهم[٨]. ولعل البعض من أفراد هذه الفرقة الأخيرة قرر الاستقرار فيما يُعرف اليوم بجمهورية السودان، حيث انتشر العديد من أفراد الشعب الفولاني في أغلب بقاع السودان، وعلى الخصوص منطقة سنار، وحوض خور القاش، وشلالات

(١) Pat –Ndenk we, Fulani ,the heritage litrong of Aficen peoples, New York, 1996, p.11-21.

(٢) عبد الرحمان أحمد عثمان، مشروع تنصير قبيلة فولاني، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم ١٩٩٠م، ص٨

(٣) برايم باري عثمان، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط١، القاهرة، دار الأمين، ٢٠٠٠م، ص٣٢٨.

(٤) Pat –Ndenk we, Fulani, the heritage litrong of Aficen peoples, New York, 1996, p.18.

(٥) Martin B.G, Muslim Brotherhoods in Winteonth Centuray African, conpridge University Presa, LONDON, P 1976, p.16.

(٦) Paul Ellsowortl, Bot Ama tokumbo Diplace-ment and the Politics of Violence in Negeria, Brill Leiden, Newyork, 1997, p.94-59.

(٧) Mahdi Adamu, Anthoney Hamilton, Pastoral-ists of the west African savanna, Manchester University Press, OXFORD, 1986, p.217.

(٨) محمد بيلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، بهيجة الشادلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٦م، ص٢٦٦.

جنوب وشرق القضارف.

ويعتقد أهل السودان أن الفولانيين قد قدموا من البلاد الواقعة غرب دارفور، وأكثرهم موجود في المنطقة الجنوبية منها، حيث يعملون رعاة للمواشي بالإضافة إلى الزراعة[١].

أما بالنسبة للفرقتين اللتين استقرتا في فوتاتورو وفوتاجالون؛ فقد نزح العديد من أفرادها نحو الجنوب. كان أول من هاجر من بلاد فوتاتورو من أبناء الفولانيين هو الأمير موسى جوكوللي (جكلو) ابن أمير المؤمنين إلمام ديمبا، وهو أحد ملوك إمارة فوتاتورو[٢]، حيث هاجر الأمير موسى جوكوللي GOKOLLO من موطنه الأصلي واستوطن بلدة «كواني» الواقعة في بلاد غوبير بشمال نيجيريا، وكان ذلك في القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري[٣]. ويعتبر هذا الأمير الجد الحادي عشر للمجاهد الشيخ عثمان دان فوديو، مؤسس الدولة العثمانية الفولانية الإسلامية في أواخر القرن الثامن عشر.

أما المجموعة الثانية من المهاجرين الفولانيين؛ فكانت بقيادة الفقيه موديبو آداما، الذي هاجر من موطنه الأصلي في لامووردي ماسينا حوالي القرن الثالث عشر الميلادي. استوطن هو وجماعته في منطقة الشرق الجنوبي لدولة نيجيريا الحالية، والشمال الغربي لجمهورية الكاميرون، تُعرف هذه المنطقة اليوم باسم أدماوا[٤]. كما تحرك فرع منهم إلى العديد من مناطق غرب إفريقيا، فتوجه البعض إلى بونو، وبامبوك، والبعض الآخر إلى واسولو. وأكبر مجموعة ذهبت إلى بلاد جالونكا JALONKA.[٥]

ولم تتوقف هنا موجات الهجرة الفولانية؛ حيث شهد القرن الخامس عشر هجرة مجموعة من الفولاني بقيادة بامبي ديادا Bambi Dyade ، ومجموعة أخرى في القرن السادس عشر تحت قيادة كولي تنجيلا[٦] Koli Tengela. هكذا؛ استمر تدفق قبائل الفولاني في العديد من مناطق غرب إفريقيا، حيث وُجِدوا على هيئة أقليات محمية في مختلف الدول التي قامت في السافانا من السنغال إلى بلاد الهوسا.

أثناء الفوضى التي ارتبطت بالغزو السعدي، في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بدأ أفراد الجنس الفولاني يؤدون دوراً مهماً في سياسة الدول الصغيرة التي قاومت الولاة من أبناء شمال إفريقيا، وُجِدت منهم جماعات كبيرة بوجه خاص[٧].

وكنتيجة لهذه الهجرات؛ أصبحت شعوب وجماعات كبيرة، وأفخاذ من الفولاني، تعيش في شتات وأقليات مشدودة نحو الشرق، حيث تجدهم في كلٍّ من دول غينيا، السنغال، مالي، بوركينا فاسو، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، غانا، توغو، موريتانيا، النيجر، الكاميرون، نيجيريا، تشاد، السودان، إريتريا، إثيوبيا، جنوب ليبيا، جنوب الجزائر، السعودية، اليمن[٨].

ثانياً: الهوية الاجتماعية والثقافية عند قبائل الفلان:

(أ) الجانب الاجتماعي:

لفهم طبيعة الوضع الاجتماعي لدى قبائل الفلان سنقوم بتحليل البنية الاجتماعية وعناصر تركيبها، ثم نتعرف على الأسرة الفلانية وأهم خصائصها، وكذلك أهم العادات والتقاليد التي تميزها. أخيراً؛ سنسلط الضوء على

(١) يوسف أبوقرون، قبائل السودان الكبرى (لمحات عن حياة وعادات)، الخرطوم ١٩٦٩م، ص١١٦.

(٢) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاني، الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الحضارية، ط١، دار الكتاب العربية، الكويت، ١٩٩٤م، ص٢٢.

(٣) عبدالله سالم با زينة، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ط١، الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر، مصراتة، ليبيا، ٢٠١٠م، ص١٠٥.

(٤) برايم باري عثمان، المرجع السابق، ص٣٧٥.

(٥) Adamu, Antlony, Opcit, p.242.

(٦) Ibid, p.242-342.

(٧) دونالد ويدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، دار الجيل للطباعة، مصر، ٢٠٠٩م، ص٦١.

(٨) عبدالله عبد الماجد إبراهيم، الغاربة (الجماعات التي هاجرت في غرب إفريقيا واستوطنت سودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية)، ط، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص (٢١٢-٢١٤).

المرأة ومكانتها في المجتمع الفولاني.

١- التركيب الاجتماعي:

تقـوم البنية الاجتماعية عنـد قبائل الفلان على نظام طبقي اجتماعي موروث، يتميز بالفصل بين الأحرار والعبيد، هذا النظام يشابه الأنظمة الاجتماعية التقليدية لدى القبائل الإفريقية الأخـرى. كما يقول إرفاييل: «فـي إفريقيا نجد أوروبـا الإقطاعية القديمة، حيث إن المجتمع ينقسـم إلى قسمين غير متكافئين: الأولى فئة قليلة العدد تحكم، وتشغل الفئة الأخرى الأكثر عدداً»[١].

- طبقة الأحرار: (ريمبي) RIMBHE.

- الأحـرار (ديمـو) Dimo: يشـغلون قمة السـلّم الاجتماعي، ويتولـون القيادة في أوقات الحرب والسـلم، ويمتلكون أكبر المسـاحات من الأراضـي الزراعية[٢]. هذه الطبقة تضم الملوك والعلماء والفقهاء.

- ريمبي- (هونبه) RIMBHE-HUMTHE: تُعتبر من الطبقات النبيلة، وتخدم الملك وحاشـيته. تُعرف أيضاً باسـم «جاوامب» Jawambe، وهي تلي طبقة الأحرار في السلّم الاجتماعي، وأبناؤها أحرار من ناحية الأم فقط[٣].

- طبقة الصيادين والتجار (سبي) Sobabhe.

- تشطو Cuballo: يحترفون مهنة الصيد في الأنهار والتجـارة، ويُعرفون بأسـماء مختلفة بيـن الفلانيين مثل «يوزواسومو» و«سركولي».

- طبقة الحرفيين والمغنيين (نيابي) Neembhe.

- نيانبي-فييـارم Neebhe-Fecciram: تضـم الحرفيين مثـل الحدادين (أولوبي)، الدباغين (سـكيبي)، النحاتين (لوجي)، النساجين (تسينوبي).

- نيانبي نجوتوبه Neenbhe-Nagotoobhe: تضم المغنيين والمداحين بأسماء مختلفة حسب نوع الغناء الذي يقومون به، مثل «غولو» Gwalo و«بامباطو» Bammbaado و«جتتوا/اسكينو» Jettowo/Astinowo.

- طبقة العبيد (ماكودو)[٤] Maccudo.

- ماكوبـة Maccubhe: تضـم العبيـد من أجناس وأعراق مختلفة، وهم إما أسـرى حـرب أو عبيد ريفيون. تحظى الفئة الريفية بمكانة أفضل مقارنةً بأسـرى الحرب، حيث يحصلون على مقابل لخدماتهم كزرّاع أو حرفيين.

٢- الأسرة والعائلة:

تُعدّ الأسرة الركيزة الأساسـية في المجتمع الفلاني، وتنقسم إلى نوعين: العائلة البسيطة والعائلة المركبة.

- العائلة البسيطة: تتكون من رب البيت (الذكر)، زوجته وأولادهما.

- العائلـة المركبة: تتكـون من رب البيـت وزوجاته (زوجتين أو أكثر) وأولادهم.

يعتقد الفلانيـون أن زيادة عدد الأطفـال (خصوصاً الذكور) تزيد من فـرص العناية بالقطعـان، حيث تتكامل العائلـة مع القطيـع. يتحدد دور كل فرد في الأسـرة بناءً على العناية بالقطعان: الرجال يعتنون بالقطعان، بينما تهتم النسـاء بتحضير الوجبات واسـتغلال حليب المواشي في صناعة مشتقاته[٥].

٣- نظام القرابة:

يمتد نظام القرابة عبر ثمانية أجيال، ويتم التفريق بين خط الأبوي وخـط الأمومي. يمنح خط الأم الدفء والدعم والحب، ويقال «الحب يأتي من العشيرة الأمومية»[٦].

٤- المرأة ومكانتها:

تلعب المـرأة دوراً مركزياً في الحيـاة الفلانية، حيث تتولى مسـؤوليات عديدة تشـمل الأعمال المنزلية ورعاية

(١) J-de carozale, Les peulhs etude jethmologie Africane, maisonnewe etcie edeitemes par-is,1883, p.210

(٢) Cabral Sankara, Fula History & Culture, Am-bakaisye-Okang, PH.D, 2010, p.5-6.

(٣) برايم باري، المرجع السابق، ص٣٣٥.

(٤) Cabral Sankara, Fula History & Culture, Am-bakaisye-Okang, PH.D, 2010, p.5-6.

(٥) Cabral. Sankara, Fula/ Fula of west Africa, Ambakisye-okange. UNTS, 2010, p.9.

(٦) Вйrenger Fйraud, les peuplades de la sйne-gambia, йditeur libaraire de la societe Asiatique, paris 1879, p.142.

الأطفال. تستمر النساء في العمل اليومي الذي يتكرر تقريباً كل يوم، ويشمل جمع الماء والخشب وتحضير الوجبات. بالإضافة إلى ذلك؛ تشارك النساء في جمع العشب لبناء الأكواخ وصناعة النسيج. يتم احترام سلوكيات النساء وتقديرها بناءً على دورهن في العناية بالقطيع والأسرة.[١]

باختصار: المجتمع الفلاني يعتمد على نظام اجتماعي طبقي معقد، يعتمد على التقاليد والموروثات الثقافية. تلعب كل طبقة دوراً محدداً في الحفاظ على التوازن الاجتماعي والثقافي بين أفراد المجتمع[٢].

٥- العادات والتقاليد:

يُعتبر النظام القبلي من أبرز معالم المجتمع الفلاني، حيث يرتكز على مجموعة من العادات والتقاليد التي تُشكِّل أساس الترابط بين أفراد القبيلة أو المجتمع المحلي. هذه العادات والتقاليد هي نتاج تفاعل العديد من الثقافات والتيارات الحضارية التي اندمجت مع المجتمع الفلاني عبر العصور.

نظراً لطبيعة المجتمع الفلاني الرعوية المتنقلة؛ تمكَّن الفلانيون من الاحتكاك بالعديد من الشعوب، مما أثرى ثقافتهم بالعديد من العناصر، ومع ذلك؛ حافظوا على أعرافهم وتقاليدهم التي تعكس هوية الجنس الفلاني. ومن أبرز هذه الأعراف ما يُعرف باسم Pulaaku، وهو مجموعة من القيم تشمل: الصبر، وضبط النفس، والحكمة، والتنبؤ، والضيافة، والشجاعة، وغيرها من الصفات التي يعتقد الفلانيون أنها متجذرة في تقاليدهم ومعتقداتهم.[٣]

٦- المعتقدات والطقوس والممارسات الخرافية:

تتفاوت المعتقدات والطقوس والممارسات الخرافية لدى الفلانيين حسب تنوع قبائلهم ومكان وجودهم. ومع ذلك؛ يتفقون على وجود مجموعة من الأرواح، سواء كانت خيِّرة أو شريرة، تُحيط بهم وتُعرف باسم Hendu أو Ginnawol، كما تُعرف لدى قبائل الهوسا باسم Gwoigwoi. يتجنب الفلانيون النطق بالأسماء الحقيقية لهذه الأرواح خوفاً منها، ويستعملون اسم Keni للتعبير عنها. يعتقدون أن هذه الأرواح تسكن في أماكن مختلفة مثل السحاب، وقوس قزح، والزوبعات، والآبار القديمة، والمنازل المدمَّرة وغير المأهولة. كما يعتقدون أن بعض هذه الأرواح تمتلك قطعاناً من الحيوانات البرية، وإذا حاول صاحب الماشية اصطياد أحد هذه الحيوانات ستنتقم الروح بقتل بعض قطعانه.[٤]

إلى جانب ذلك؛ يظهر تأثير معتقد وجود الأرواح في حياة الفلانيين، حيث تحكي أسطورة شعبية أن الإله «كومين» علَّم أحد أوائل الفلانيين، ويدعى «سيل ساجو»، كيف يعتني بالماشية ويصبح راعياً وكاهناً يدافع عن البقرة. تم تعليمه عبر ١٢ مرحلة، من خلال الأرواح الشريرة والآلهة الحاقدة والقوى الإيجابية مثل التمائم والطقوس والأشياء السحرية. وعلى الرغم من أن هذه الأسطورة مليئة بالأحداث الخرافية؛ فإنها تعبِّر عن مدى تعلق الشعب بالرعي، وبخاصة رعي البقرة.

عند انتقال الفلانيين إلى أرض جديدة يشعلون النيران لتحديد وجود الأرواح من عدم، إذا انتشر دخان النار مباشرة فهذا دليل على وجود أرواح شريرة ويجب تغيير المكان. أما مؤشر تحديد مكان الاستقرار فهو أن يتبعوا انجراف دخان النار إلى مسافة ما، قبل أن يرتفع، وهذا دليل على أنه المكان المناسب للاستقرار.[٥]

بالنسبة للفلانيين المستقرين الذين يعملون في الزراعة فهم يؤمنون بوجود روح تشرف على زيادة المحصول تدعى «كيني»، إذا لم يتم ذبح عجل أسود أو عنزة سوداء في سبيلها

---

(١) Clapperton, Second voyage dans l'interieur de l'Afrique, mongie Ame, libraire, paris, 1829, T11, p.82.

(٢) Magdalena E. Thome, Women in society, Nova science publishers ,Inc, Newyork, 2005, p.182.

(٣) The diagram group, Enclopedia of African peoples, Routhedge London and New york, 2013, p.85-88.

(٤) F-W.dest croix, The Fulani of Northern Nigeria, printed by the government printer, logos, 1945, p.54.

(٥) croix, Opcit, p.54-55.

فسوف تتشتت ثروة المزارع وتذهب البركة من مزرعته.

بعد انتشار الإسلام بين قبائل الفلاني أزيلت العديد من الاعتقادات الخرافية، وأصبحت ثقافة الفرد الفلاني مبنية على أسس الشريعة الإسلامية، من بين الأمور التي حرمها الإسلام على الفلانيين تناول لحم الخنزير. ولكن بقيت بعض العادات والأعراف المرتبطة بالوثنية، على سبيل المثال: كان من المحرمات في اعتقاداتهم الخرافية غسل الملابس في أوقات معيّنة بسبب وجود الأرواح الشريرة، وقص الشعر، والقيام بخطوة الصباح بالقدم اليسرى أولاً، كما حُرِّم على الطفل الرضيع شرب حليب الماعز لأنه يسبب الحكة.[١]

٧- اللباس التقليدي:

يمتاز اللباس التقليدي عند قبائل الفلاني بالأناقة، رغم أن هذا الأمر لا ينطبق على جميع مجموعاتهم، وبخاصة القبائل الرعوية منها. يرتدي الرجال رداءً طويلاً مع سروال من القطن[٢]، ويرتدي الفلاحون قبعة من القش.

أما النساء؛ فيلبسن رداءات طويلة ملونة ومطرزة بشكل بسيط، وبعضهن يرتدين الجلابيب، ويزين أنفسهن بالقلائد والأقراط وخواتم الأنف والكحل[٣]. لاحظ الرحالة كلابرتون، في زيارته إلى إمارة كانو في بلاد الهوسا، عادة صبغ النساء لشعرهن باللون الأزرق، وكذلك صبغ أظافر اليدين والقدمين بمادة تُدعى «لامسونيا».

٨- الأمثلة الشعبية:

يستخدم المجتمع الفلاني العديد من الأمثال الشعبية التي تُعتبر شكلاً قوياً ومعبّراً من أشكال التواصل، الأمثال توفر للفرد فهماً سريعاً وترسيخاً طويلاً للمعاني. في إفريقيا؛ يُقال إن المثل يساوي ألف كلمة. رغم أن الأمثال تتبع من ثقافات وتقاليد معيّنة؛ فإن تطبيقها ليس دائماً مقتصراً على المجتمع الذي أنتجها. يمكن للفلانيين تبنّي أمثال من مجموعات عرقية أخرى وتكييفها مع ظروفهم.

الأمثال عادةً ما تكون أقوالاً قصيرة ومكثفة، مجهولة المؤلف، وموثوقة في تطبيقها. تحمل بعض الأمثال الفلانية طابعاً موسيقياً وإيقاعياً، مثل: Feere fendi fettande kono virazomhaazaani، والتي تعني: «الحاجة إلى إنتاج لبن حامض، لكن الحليب الطازج ليس مُرّاً»[٤].

٩- الطعام التقليدي:

يتكون الطعام التقليدي لدى الفلانيين من الدُّخن والحليب، حيث يتم تناول الدُّخن في الصباح والظهيرة[٥]، وفي الليل يتم تناول عصيدة مع صلصة الطماطم بالفلفل والبصل والماء. نادراً ما يتم تناول اللحوم (الماعز، البقر) إلا في المناسبات الخاصة. بالإضافة إلى المشروب الذي يُدعى «أتشيت»، وهو مشابه لمشروب الطوارق «إغَيْرَة»، وهو مصنوع من جبن الطحين والحليب والتمر والدخن.

١٠- الطب التقليدي:

يُمارس بعض النساء الفلانيات التطبيب باستخدام الجذور والبذور والأوراق والزهور كأدوية، حيث يثق الفلانيون جداً بالأدوية التقليدية؛ لأنها شيء عرفوه عن أجدادهم ووثقوا به.[٦]

(ب) الجانب الثقافي:

تشكل الحياة الفكرية والثقافية لقبائل الفلاني أساساً لفهم لغتهم وخصائصها الرئيسية. من خلال دراسة هذه الحياة؛ يمكننا استنباط معتقداتهم الدينية والروحية، وكذلك جوانبهم الثقافية المرتبطة بالاحتفالات والمناسبات، وطقوسهم الجنائزية.

١- التراث الديني والعقائدي:

أوضح الباحث مزروي في العديد من مؤلفاته أن معظم سكان غرب إفريقيا لديهم تراث ديني ثلاثي: مسلمون،

(١) Sankara, Opcit, p.121-.221

(٢) M.ch.Thirion, Comptes rendus sten-ographiques, putilles sous les aupices du com-ite gentral des congress et conferences, paris, 1878, N°5. p.860-168.

(٣) Sankara, Fula /Fula of west Africa, Opcit, p.8.

(٤) Sankara, Fula history& culture, Opcit, p.247.

(٥) Sankara, Fula /Fula of west Africa, Opcit, p.9.

(٦) محمد مصطفى الشعينبي، نيجيريا الدولة والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤م، ص١١٢.

ومسـيحيون، ومؤمنون بالديانات التقليديـة المعروفة في مجتمعاتهـم[١]. يُعتبر الديـن في المجتمعـات الإفريقية بمثابة التشريع الرئيسـي للجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مثل الزواج والطلاق والميراث والولادة.[٢]

أ- الشعب الفلاني عند مجيء الإسلام إلى غرب إفريقيا:

تشير الروايات الشفوية إلى أن الشعب الفلاني عرف ديناً آخر غير الإسلام منذ قرون، حيث كانوا يؤمنون بالله الخالـق «جنو» Geno، لكنهم لم يعبـدوه بحدّ ذاته، بل عبدوا الأرواح الخارقة الموجـودة فيه، كان هناك ثلاثة مجالات:

- في أرض الوضوح؛ حيث يعيش البشر مع الحيوانات والنباتات.
- في أرض شـبه الظلام؛ حيث تسود الآلهة مع ثمانية وستين روحاً.
- في أرض الليل العميق؛ حيث تسـتريح أرواح الموتى والأرواح التـي سـتولد، وكذلك أرواح البشـر والحيوانات والنباتات.

يعتقد الفلانيون أن الأرواح من شـبه الظلام يمكن أن تجسد نفسها وتظهر للبشر في العالم العادي.

في القرن الحادي عشر؛ اعتنقت مجموعة من الفلانيين المسـتقرين والمعروفة باسم «تورودبي» الإسلام، وأصبحوا من كبار الدعاة في غـرب إفريقيا[٣]. بينما بقيت مجموعة من الفلانيين الرحل (البدو) متمسـكة بالمعتقدات الوثنية الخرافيـة[٤]، وفي بعض الأحيان مزجوا بين الممارسـات التقليدية والتعاليم الإسلامية.

ب- حركة الهجرة والتغلغل الإسلامي بين الفلانيين:

منذ القرن الثالث عشر الميلادي؛ قامت قبائل الفلاني بحركة هجرة واسـعة، مما سـاهم في انتشار الإسلام بين العديد من الشعوب الفلانية. وقد أصبح الفرد الفلاني يحتكم إلى الشـريعة الإسلامية في جميع جوانب حياته الاجتماعية والسياسية[٥]، لاحظ الرحالة مونغو بارك عند زيارته لمنطقة ماسـينا أن حكومة الفولاني تختلف عن حكومات الماندیجو في أنها أكثر صرامة في تطبيق الشريعة الإسلامية، حيث كان الفولانيون يعتبرون سـلطة الشريعة وتعليمات الرسول صلى الله عليه وسـلم أمراً حاسماً لا يمكن تجاوزه[٦]. كانوا يؤدون الصلوات الخمس جماعة، ويذهب القرويون يوم الجمعة لأداء صلاة الظهر معاً، وعندما يعودون يأكلون الطعام معاً. خلال شهر رمضان؛ يصومون من الفجر حتى غروب الشمس، وعند الإفطار يخرجون من منازلهم لتناول الطعام مع جيرانهم، كما أصبحوا يحتفلون بالأعياد الإسلامية المعروفة.[٧]

ج- نشاط تورودبي الفلانية في نشر الإسلام وتأثيرهم السياسي والاجتماعي:

في القرنين الثامن عشـر والتاسـع عشـر؛ أصبحت مجموعة تورودبي الفلانية الإسـلامية نشطة جداً في نشر الإسـلام في العديد مـن مناطق غرب إفريقيا. سـاهمت هذه المجموعـة في بناء العديد من المسـاجد والكتاتيب لتعليم اللغة العربية وتعاليم الشـريعة الإسلامية، بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم. مع توسـع دائرة الإسـلام؛ اعتنق بعض الحكام المحليين الإسـلام وقبلوا به كدين جديد، إلا أنهم لم يتبعوا الشـريعة الإسلامية وخلطوا بين الممارسات الإسـلامية والوثنية. دفـع هذا الأمر مجموعـة تورودبي الفلانية إلى إعلان الجهاد ضد هؤلاء الحكام، مما أدى إلى ظهور العديد من الشـخصيات الإصلاحية مثل عثمان دان فوديو، وساموري توري، وعمر الفوتي، وغيرهم.

---

(١) Sankara, Fula history & culture, opcit, p.117.

(٢) Brenda-Lu forman and Harrison forman, The Land and People of Nigeria, Portraits of The Nations Series, New York, 1964, p.57-85.

(٣) Molefi kete Asante. Ama mazana. Encyclopedia of African Religion. A sage Reference publication.Los Angeles.2009, p.275-672.

(٤) مصطفى بوزيدي، الفلاني (عرب، بربر، هنود ام إيرانيون) مجلة الكوثر، ع٢١، الكويت، يوليو ٢٠٠١م، ص١٧.

(٥) Grozale, Opcit, p.112-411.

(٦) Mongo park, voyage dans l'interieure de l'Afrique, 2°ёdition.td Aderian edams.francais Mapero.paris 1980, p.175-181.

(٧) Sankara, Opcit, p.117-811.

تعتبر حركة الهجرة والتغلغل الإسلامي بين الفلانيين ومجموعة توروبي الفلانية الإسلامية من الأحداث المهمة في تاريخ غرب إفريقيا، فقد ساهمت هذه الحركات في نشر الإسلام وتعزيز دوره في المجتمعات الفلانية، مما أدى إلى تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية والسياسية لهذه المجتمعات.

٢- المناسبات والاحتفالات في المجتمع الفلاني:

تُعتبر الاحتفالات بالمناسبات المختلفة، مثل الزواج، الختان، الأعياد الإسلامية، والأعياد الشعبية، ذات أهمية بالغة في المجتمع الفلاني، تعكس هذه الاحتفالات ثقافة هذا الشعب ومقوماته الحضارية، وكان للتأثير الإسلامي أثرٌ واضح وجليّ في هذه الاحتفالات.

أ- الزواج:

يتم الزواج عادةً بين أفراد قبائل الفلاني، سواءً كانوا من نفس القبيلة أو بين قبيلة فولانية وأخرى، أو بين الفلانيين المستقرين والرحل. ومع ذلك؛ تفضل قبيلة «البورورو» الفلانية الزواج من داخل القبيلة أو المجموعة للحفاظ على ممتلكات الأسرة وتضامن العشيرة الأبوية.

من العادات السائدة في أوساط الشباب الفلاني ما يسمّى «الشادو» أو «الشادي»، وهي تمارين تهدف إلى تدريب الشباب على الأعمال الشاقة، الصبر، قوة التحمل، وتحمل المسؤوليات، مما يهيئهم للحياة المستقبلية. تمارس هذه العادة في جميع المناسبات، وخاصةً عند الزواج.

- أنواع الزواج:

زواج الحب: يتم خارج نطاق الأسرة، وتتمتع النساء الفولانيات بحرية واستقلالية في اختيار شريك حياتهن، دون إرغامهن على الزواج من شخص معيّن.

الزواج عند قبائل البورورو: في سن الخامسة يتم تزويج الفتاة بفتى يقاربها في السن، ويحتفل الكبار بهذا الزواج ويذبحون البقر ويغنون ليالي عدة.

زواج الأقارب: يُفضل الزواج من أبناء العمومة أو الأقارب بشكلٍ عام. يحدث بين ابن الشخص أو ابنته أو بين أبناء أو بنات الإخوة الأشقاء.[١]

- مراسيم الزواج:

تختلف طرق التزويج ومراسيم الاحتفال حسب العشائر الفلانية ومكان وجودها. تسيطر على بعض المجموعات تقاليد قديمة، مثل نقل والد العروس بعضاً من قطيعه إلى العريس كمهر. تُحيي بعض المجموعات الفلانية التي اعتنقت الإسلام مناسبات الزواج وفق الشريعة الإسلامية.[٢]

- مراحل الزواج:

١- طلب يد الفتاة: يبدأ الفتى وعائلته بطلب يد الفتاة من عائلتها، حيث يحملون هدايا تعبيراً عن رغبتهم في الزواج.

٢- التحقق من صلاحية الزواج: تقوم عائلة الفتاة بالتحقق من صلاحية تزويج ابنتهم للخطيب من عدة نواحٍ، مثل التكافؤ الطبقي وحالة الخطيب وسيرته.

٣- الموافقة وإجراءات العقد: بعد الموافقة؛ تحدد العائلتان المهر وشروط النكاح، ويتم إعلان قيمة المهر وفضائل النكاح في حفل كبير.

٤- الاحتفالات والموكب: في يوم الزفاف؛ تقام وليمة لعقد النكاح يحضرها الأقارب والجيران. تنطلق الأفراح والزغاريد، وفي المساء، يتم ترحيل العروس إلى منزل زوجها في موكب يعرف باسم «دوموردو».

٥- تقديم الهدايا: عند وصول العروس إلى منزل زوجها؛ تقدم أم الزوج هدايا للعروس وصديقاتها.[٣]

تتغير مراسيم وعادات الزواج بين قبائل الفولاني حسب المصاهرات والاختلاطات مع أعراف وتقاليد الشعوب المجاورة. في بعض المناطق؛ تتم مراسيم الزواج بشكل تمثيلي وكوميدي، حيث يحاول الخطيب اختطاف العروس،

---

(١) بوزيدي، المرجع السابق، ص١٩.

(٢) Sankara, Opcit, p.94.

(٣) مزدافة عمر محمد ثاني، التاريخ الاجتماعي لمجموعة الفولاني بجنوب النيل الأزرق في الفترة (١٩٠٠-٢٠٠٠م)، بحث تكميلي للإيفاء بمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإفريقية الآسيوية، جامعة الخرطوم، ديسمبر، ٢٠٠٧م، ص (١٠٩-١١١).

ويتصدى لـه أبناء عمومتها للدفاع عنهـا، وبعد التأكد من موافقتها، يربط العروس ويسـلمها لزوجها، مما يشير إلى الانتقال من السلطة الأبوية إلى السلطة الزوجية[١].

تعكس المناسـبات والاحتفالات في المجتمع الفلاني عمق الثقافة والتقاليد المتجذرة، وتأثير الإسـلام الواضح على هذه الممارسـات. يجسد الزواج في المجتمع الفلاني تداخل العادات القديمة مع التعاليم الإسـلامية، مما يعزز الهوية الثقافية ويضمن استمرارها عبر الأجيال[٢].

ب- تسمية المولود وختانه:

عندما تُزف العروس إلـى منزل زوجها، تُعامل كضيفة محل احترام وتقدير. لا يترتب عليها القيام بالعديد من مهام المنزل إلا البسـيطة منها، وتظل على هذه الحال حتى تلد مولودها الأول. عندما تحبل العروس تُخبر زوجها بأنها تود الرجوع إلى أهلها للولادة. تتكفل امرأة مسنة من أهل الزوجة بإخبار أهل الزوج بأن زوجة ابنهم ستعود إلى أهلها للولادة، وتُسمّى هذه العادة «وارتل بوفلي» Wartul bufliy.

يتم تجهيز متطلبات الولادة وتسليمها إلى أهل الزوجة، وبعد أن تضع العروس مولودها، تبشـر إحدى النسـاء أهل الـزوج بهذا الأمر. تقام في اليـوم الثالث من الولادة وليمة صغيرة تُسـمّى «بوزدي»[٣] Buezdey، وفي اليوم السـابع تقام حفلة التسـمية بحضور الأقـارب والجيران، حيث تتم تسمية المولود غالباً بما يتناسب مع المناسبة.

تُعبّر أسماء المواليد عن طبيعة زواج والديهم أو ترتبط بأعـراف القبيلة، فإذا كانت الولادة في يوم الاثنين يُسـمّى الطفـل بذلك اليوم، وإذا كانت أثناء قدوم موسـم الأمطار يُسمّى الطفل بما يعبّر عن هذه المناسبة. كما يمكن أن تُعبّر الأسماء عن طبيعة زواج الوالدين، فإذا كان من زواج الأقارب (أبناء العمومة) يُشار إليه باسم «تومبيدو» للذكر أو «ياندادو» للذكر و«نوميا» للأنثى[٤]. الأسـماء الأخـرى تعكس تقاليد القبيلة، مثل «حمادوا» أو «أفو» للمولود الأول، «سـامبا» أو «سامبو» للمولود الثاني، و«يايرو» أو «يرو» للمولود الثالث[٥].

- الختان:

عندمـا يصل الطفل إلى سـن بيـن ٨ و١٥ عاماً يُهيأ لإجراء عملية الختان (الطهورة)، وهي مناسـبة مهمة تشير إلى الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا. يشـارك في هذه المناسـبة جميع أفراد المجتمـع، وبخاصة أفراد أسرته الذين يكون لكل منهم دور محدد وفق علاقته بالطفل المختون[٦]. كان الفلانيون يجمعون عدداً كبيراً من الأطفال الذكور ممن بلغوا سـن الختان لإجـراء العملية، تُنصب لهم خيام خـارج القرية، ويأتي رجل يُسـمّى «ونـازم» لإجراء الختان. يمكث الأطفال في هذه الخيام حتى يتم شـفاؤهم، ثم يعودون إلى القرية، حيـث تُقام لهم وليمة كبيرة احتفالاً بذلك.[٧]

ج- الأعياد:

- الأعياد الإسلامية:

يظهر التأثير الإسـلامي الواضح في قبائل الفلان في احتفالاتهم بالأعياد الإسلامية: عيد الفطر، عيد الأضحى، والمولد النبوي الشريف[٨]. خلال شهر رمضان يحرص أهل القرية على قيام الليل بمساجدهم، ومع اقتراب العيد تكون الاستعدادات كبيرة لاستقباله، بتجديد أثاث المنازل وشراء الهدايـا والملابس الجديدة للأطفـال[٩]. في عيدي الفطر والأضحى يتجمع الناس في سـاحة كبيرة خـارج المدينة بحضور الأمير وأتباعه، ويـؤدون صلاة العيد وتليها خطبة باللغـة العربية مـن قِبَل الإمام أو السـلطان. بعد الخطبة يتبادل الناس التهانـي، ويتوجه الجميع في موكب كبير نحو منزل شـيخ القرية لتناول وجبة إفطار، ثم يخرجون لزيارة

(١) Crozals, Opcit, p.226.

(٢) Ibid, p.233-532.

(٣) مزدلفة، المرجع السابق، ص (١١١-١١٢).

(٤) Croix, Opcit, p.37.

(٥) برايم باري، المرجع السابق، ص٣٥٧.

(٦) Sankara, Opcit, p.22

(٧) مزدلفة، المرجع السابق، ص١١٢.

(٨) الشعبيني، المرجع السابق، ص١٢٨.

(٩) مزدلفة، المرجع السابق، ص١٢٢.

الأهل والأصدقاء.[١]

- **الأعياد الشعبية:**

إلى جانب الاحتفالات الإسلامية؛ توجد أيضاً احتفالات ذات طابع وثني عند قبائل الفولاني. تتفق جميع المناسبات الشعبية في كونها فرصة للشباب لتأمين زوجاتهم المستقبلية، وللفتيات لاختيار الشريك المناسب، في هذه الاحتفالات تتزين الفتيات بأفضل الملابس والحلي، وخلال الرقص والغناء يختارون من يعجبهن من الشباب.

أحد أشهر المهرجانات عند قبائل الفولاني هو مهرجان «شارو» Sharo الذي تحتفل به قبائل البورورو الفلانية فقط، ومهرجان «جاني» Gani الذي تحتفل به مجموعات الفلاني المستقرة والمتنقلة.[٢]

تعكس المناسبات والاحتفالات في المجتمع الفلاني مزيجاً من التأثيرات الإسلامية والتقاليد القبلية العريقة، تشكل هذه الاحتفالات جزءاً مهماً من الهوية الثقافية للفلانيين، مما يعزز الروابط الاجتماعية، ويضمن استمرار التقاليد عبر الأجيال[٣].

- **مهرجان شارو:**

يُقام مهرجان شارو مرّة أو مرتين في السنة، وقد أشار إليه الشيخ محمد بيلو، حيث ذكر أن ناراً عظيمة تُوقد ويُذبح البقر، ويتم وضع جزء من اللحم حول النار[٤]. يُعد هذا المهرجان فرصة للشباب لإظهار شجاعتهم وقدرتهم على التحمل، حيث يقوم الرجال بضربهم بالعصا ضرباً مبرحاً، إذا استسلم الشاب للألم، يصبح محل سخرية، خاصةً من قِبَل الفتيات، وكثيراً ما يخرج الشاب مثخناً بالجراح والآلام.[٥]

- **أعياد أخرى:**

هناك مناسبات أخرى تختلف مواسمها ومضامينها، مثل مناسبة تُدعى عيد سيد القطيع أو صاحبه، حيث يتم إرسال الثور الذي خدم عشيرته مدة عشرة مواسم ليُذبح ويُتناول لحمه. تُعد هذه المناسبة من أعياد اللحوم النادرة عند قبائل الفلاني، وهي فرصة لإظهار الصفات الرجولية.[٦]

- **الجنائز ومراسم الدفن:**

عند وفاة شخصٍ ما في القرية تُمنع النساء من البكاء والندب[٧]. يقوم شخص من عائلة المتوفى بشراء قطعة قماش بيضاء لتجهيز الكفن، إذا كان المتوفى رجلاً يتولى أحد أقربائه المقربين عملية غسله، وإذا كانت امرأة تتولى إحدى قريباتها هذه العملية بمساعدة بعض الأقارب، ولا يُسمح لشخص غريب بالدخول إلى غرفة التغسيل. يتم تعطير الجنازة بالعطور الجافة مثل الصندل وصفق الصدر، ثم تُقام الصلاة على الميت في المسجد أو في منزله إذا كان بعيداً عن المسجد، وتُشيع الجنازة.[٨]

- **دفن الميت:**

يختلف دفن الميت بعض الشيء بين قبائل الفلاني، فمثلاً: قبيلة البورورو الرعوية تدفن المتوفى الذكر في مكان استراحة الماشية في المخيم، أما النساء فتُدفن بالقرب من الأكواخ السكنية. هذا الارتباط بمكان الدفن يعكس مهام كل منهما في حياتهما، حيث كان الرجل يرعى الماشية فيُدفن في مكان استراحتها تكريماً له، وتُدفن المرأة قرب الأكواخ السكنية لارتباطها بأعمال المنزل[٩].

أما جماعات الفلاني المستقرة؛ فيذكر الرحالة كلابرتون أنهم يدفنون موتاهم تحت أرضية منازلهم دون نصب، ويظل المنزل بكل محتوياته ويشغله أهله، لكن عند الأغنياء يُهجر البيت. أما العبيد؛ فتُسحب جنائزهم خارج المدينة وتُترك فريسة للحيوانات المتوحشة.[١٠]

---

(١) الشعبيني، المرجع السابق، ص١٢٨.

(٢) Croix, Opcit, p.46.

(٣) Ndukwe, Opcit, p.44-54.

(٤) بيلو، المصدر السابق، ص٥٠.

(٥) Sankara, Opcit, p.23.

(٦) Ndukwe, Opcit, p.44-54.

(٧) الشعبيني، المرجع السابق، ص١٣٥.

(٨) مزدلفة، المرجع السابق، ص١١٢.

(٩) Sadiku and Others, Opcit, p.29.

(١٠) Clapperton, second, voyage dans l'interieur de

بعد ذلك؛ يمكث أهل المتوفى في منزله لمدة ثلاثة أيام يُقرأ فيها القــرآن الكريم على روحه. في اليوم الثالث يُنهى المأتم، وفي اليوم الســابع يُوزع ما يُعرف باســم الدينباري Denbary والوينــا Wayna كصدقة للميت، ثم يعود أهل المتوفى إلى منازلهم[١]. تُجبر المرأة التي توفي زوجها على نزع حليّها وكل علامات الزينة، ولمدة عشــرة أيام لا تتناول ســوى الماء والسكر، وتبقى في خيمتها مدة أشهر مطأطأة الرأس. عند انتهاء مدة الخمســة أشــهر تخرج من عدتها، وبعد مرور سنة من الوفاة يمكنها الزواج من أحد إخوانه إذا رغبت بذلك، وإذا رفضت فلها ذلك[٢].

ثالثاً: الوضع الاقتصادي والنشاطات الاقتصادية عند قبائل الفولاني:

يُقصد بالوضع الاقتصادي القواعد التي يســير عليها المجتمع في شــؤون إنتاجه، واســتهلاك منتجاته، وتبادل وتوزيع ثروته. ويُعد النشــاط الاقتصــادي من أهم الدعائم التــي يقــوم عليها البنــاء الاجتماعي، ومن أكثــر العوامل تأثيراً في تطوره ونموه[٣]. ســوف نتعرف فيما يلي على أهم النشاطات الاقتصادية عند قبائل الفولاني.

(أ) نظام الرعي:

يعد قطاع الرعي وتربية الماشية أحد الدعائم المهمة في اقتصاد قبائــل الفولاني، فقد ارتبــط تاريخهم برعي القطعان خاصــةً الأبقار. يتطلب رعي الماشــية عنصرين مهمين؛ هما: الحشائش والمياه، وهذان العنصران يرتبطان بالتســاقط. تحدد حالة المطر نطــاق الرعي في المناطق التي يوجد فيها الفولانيون في غرب إفريقيا. هذه المنطقة تحظــى بنطاقات بيئية واســعة توفر الظروف المعيشــية للماشية.[٤]

في شــمال نيجيريا الحالية (بلاد الهوسا)، حيث توجد العديد من المجموعات الفولانية، تحدث التغيرات الموسمية نتيجة حركة الرياح الموسمية الشمالية الشرقية الجافة من الصحراء، فتجلب على المنطقة موسم الجفاف. أما الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الرطبة من خليج غينيا؛ فتجلب موسم الأمطار. عندما يبدأ موسم الجفاف في شمال منطقة السافانا في شهر سبتمبر أو أكتوبر، تتحرك قبائل الفولاني الرعوية نحو الجنوب بحثاً عن المراعي والماء، فتستقر في هذا الجزء فترة طويلة حتى شــهر ســبتمبر.[٥] ومع دخول الموســم الرطب؛ يتراجــع الرعاة الفولانيــون من الأجزاء الجنوبية خوفاً من ذبابة التســي تسي، التي تصيب صاحبها بمرض النــوم، ويتجهون مرّة أخرى إلى الأجزاء الشــمالية حيث يكون موسم الأمطار قد ابتدأ، فتتعافى النباتات وتظهر البرك المائية[٦].

تُعــدّ عملية الرعــي في فصل الجفاف عملية شــاقة ومتعبة، فالراعي يأخذ قطيعه إلى مسافة بعيدة عن مخيمه، وقد يضطر الراعي إلى مغــادرة مناطقه إلى مناطق أخرى تتوفر فيها الظروف الملائمة، ويكون ذلك سيراً بماشيته[٧]. تختلف سرعة وطول التحركات الموسمية للرعاة من منطقة إلى أخرى، وقد ترتبط بالعديد من الظروف المحلية، أبرزها مدة المواسم الرطبة والجافة، حجم القطعان، كثافة السكان المســتقرة في المنطقة، ومدى مساحة الأراضي الخضراء، وأيضاً توفر الأسواق التي يمكن فيها بيع منتجات الألبان أو تبادلها للحصول على الحبوب والأطعمة المختلفة.

بسبب صعوبة الرعي وحرارة الجو وطول المسافة التي تقطعها الماشــية للذهاب إلى مناطق الرعي والعودة منها؛ فإنها تُنهك ويقــل إدرار اللبن وبالتالي تقــل منتجاته التي تُباع للحصول على حاجات الحبوب. أما في فصل الأمطار؛ فيكون الرعي أكثر سهولة، حيث يرعى القطيع على مسافات

---

l'Afrique, mongie Ame,libraire,paris,1829, T11, p.170.

(١) مزدلفة، المرجع السابق، ص١١٢.

(٢) بوزيدي، المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) الشعبيني، المرجع السابق، ص١٥٥.

(٤) Crozals, Opcit, p.179-180.

(٥) Cabral Sankara, Fula History & Culture, Ambakaisye-Okang, PH.D, 2010, p.371.

(٦) Ibid, P.371-273.

(٧) الشعبيني، المرجع السابق، ص١٨٢.

قصيرة من مخيمه، وتصبح مياه الشرب متوفرة، ويزيد إنتاج اللبن لوفرة المرعى.

يقدّم الرعاة ضريبة إلى رؤساء القبائل والعشائر التي يرعون في أرضهم، وقد تختلف قيمتها من منطقة إلى أخرى، يحاول بعض الفولانيين الرعاة التهرب من تسديدها. وقد تجمع بين حكام تلك المناطق والرعاة الفولانيون علاقات طيبة بحكم العطاءات والهدايا التي يقدمها الرعاة لهم، فيُسمح لهم بالرعي في مناطقهم دون أي مقابل، يحدث هذا الأمر عادة في المناطق التي تكون فيها القبائل وثنية.[١]

يتكون قطيع الرعاة الفولانيين من مجموعة متميزة من الماشية في شكل مخروطي، يوجد فيها ثور واحد على الأقل، ومجموعة من الأبقار والعجول، وفي بعض الأحيان الماعز والجمال. يحظى الثور بمكانة مميزة في القطيع، حيث يُعتنى به بشكل خاص فيُسقى بمفرده ويقضي الليل في مكان مخصص له وحده. صاحب القطيع الذي يشرف على إدارته اليومية هو رب الأسرة، وقد أُشير سابقاً إلى العلاقة الموجودة بين العائلة والقطعان، حيث تشكل الأخيرة المصدر الوحيد لحياتهم.

تتقاسم أفراد العائلة مهام الاعتناء بالقطيع[٢]، لا يشكل لحم القطيع نظاماً غذائياً عندهم، ولا يتم بيع الماشية إلا عند الضرورة، تعيش الأسرة على اللبن ومشتقاته، وفي حالة انخفاض إنتاجه، يتعين عليهم بيع بعض القطعان لشراء الغذاء. بما أن القطعان هي المصدر الأساسي للدعم بالنسبة للعائلة الفولانية؛ فإن رعايتها تكون أيضاً بشكل مميز. لو لاحظنا الخصائص العامة للقطيع لاكتشفنا أن قطيع الرعاة الفولانيين ليس مجرد مجموعة حيوانية يتبعها فرد ويستغلها بشكل منقطع، بل هو نظامي تم ترويضه بطريقة معيّنة[٣]، يستلزم ذلك تنظيماً خاصاً في العائلة صاحبة القطيع، حيث تتم عمليات استطلاعية عن الأماكن الرعوية المناسبة والبعيدة عن الأمراض التي تصيب القطيع. يجب ترتيب إمدادات المياه وتغذية الماشية بانتظام، وتجنب الحوادث التي تحدث في القطيع ومعالجتها، والاهتمام بشؤون القطيع مثل ولادة العجول، لأنها تُعدّ مكسباً جديداً للقطيع لابد من الاعتناء به.

يتم تقسيم المهام في العائلة، فيتولى الرجال الماشية وحركاتها الموسمية والمراعي اليومية والرعاية البيطرية. أما المرأة فترتبط باللبن وتسويقه بالإضافة إلى مهامها المنزلية، حيث تقوم بحلب القطعان وترك اللبن لتتكون القشدة فوق سطحه. تحدث هذه العملية طبيعياً عندما يكون الطقس حاراً، أما إذا كان الطقس بارداً فإنهم يضيفون بعض المواد. بعد ذلك تُستخلص الزبدة عن طريق الخض، وتُشكّل على هيئة كرات، وتوضع في الماء المتخلف عن الزبدة، وتُؤخذ إلى السوق وتُباع في المدينة أو القرية التي قد تكون بعيدة عن المخيم. بالإضافة إلى الزبدة؛ تُؤخذ أيضاً كميات من اللبن لبيعها. تشرف المرأة على هذه العملية، والنقود التي تتحصل عليها من هذه الأعمال تكون ملكاً لها ولا يأخذها زوجها، وهي تُنفق في شراء ما يلزم البيت من حبوب وأطعمة وملابس لأطفالها.[٤]

يتميز الفلاني الراعي بمعرفته الجيدة لأبقاره وماشيته، وقد لا يعرف عددها تماماً، لكن إذا غابت واحدة فإنه يعرفها ويعرف أوصافها، ولا يهدأ حتى يجدها. يستعين في ذلك بأسماء وألوان الشعر المختلفة التي يعرف بها أبقاره، بل ويستطيع أن يميز أبقار جيرانه ولو كانوا في نفس قريته أو مجمعه[٥]. عندما يتحرك الفولاني بقطيعه فإن أغلب الصيحات التي يطلقها هي تعليمات يوجهها لماشيته يستطيع بواسطتها التحكم بها، بل ويستطيع أن يمر بالقطيع دون إصدار أي صوت[٦].

(ب) النظام الزراعي:

أدى استقرار الفولانيين في العديد من المناطق في غرب إفريقيا إلى البحث عن مهنة جديدة تتلاءم مع طبيعة

(١) Gibbs, Opcit, Opcit, p.372.

(٢) Ndukwe, Opcit, p.22.

(٣) Gibbs, Opcit, p.373.

(٤) Croix, Opcit, p.27-82.

(٥) الشعبيني، المرجع السابق، ص٩٤.

(٦) Croix, Opcit, p.21-22.

استقرارهم. التحق الكثير منهم بمهنة الزراعة، التي ما لبثت أن أصبحت من المهن الرئيسية عند قبائل الفولاني[١]. اختار البعض الآخر الجمع بين القطعان والزراعة نظراً لأن خصوبة الأرض ذات قيمة كبيرة عند الراعي والمزارع.

لاحظ الرحالة وينتر بوتوم Winterbottom العناية الكبيرة التي يولونها للأرض، فقد أصبحوا على دراية بثقافتها أكثر من الزنوج. كما يتحدث الرحالة كيلي Caillie بإعجاب عن العناية التي يوليها الفولانيون لأرضهم، حيث يقول: «إن حقولهم يتم الاعتناء بها جيداً مثل حقولنا».[٢]

في منطقة فوتاجالون؛ تستغل قبائل الفولاني السهول الفيضانية الواقعة على الضفة الجنوبية للسنغال، حيث يمكن زراعة المحاصيل عندما تنحسر الفيضانات كل عام خلال شهري أكتوبر ونوفمبر في منطقتين مميزتين؛ هما والو Waalo وجيري Jeori ، تقع الأولى بجوار نهر السنغال وتغمرها المياه خلال موسم الأمطار. عندما تتراجع الفيضانات تُزرع هذه الأرض بالدُّخن والأرز والخضروات. أما منطقة جيري، التي يكون مصدر مياهها الآبار العميقة، فيُزرع فيها الدُّخن خلال موسم الأمطار.

يقسم الفولانيون في فوتا تورو السنة إلى موسمين للزراعة: موسم زراعة منطقة جيري أثناء هطول الأمطار، وموسم زراعة منطقة والو بعد هطول المطر. غير أن إنتاجهما يختلف، فمنطقة جيري لا تنتج ما يكفي للأسرة طوال العام.[٣] وصف لنا الرحالة كيلي عملية الزرع حيث قال فيما معناه: إنهم يضعون أكواماً صغيرة من الأرض لوضع الفستق والبطاطا، ويرتبونها بحيث تكون في ارتفاع واحد، وبمحاذاتها يُزرع الأرز والدُّخن في أرض محروثة. أثناء هطول الأمطار الأولى يزرعون حول مساكنهم الصغيرة. يزرعون القطن بين سيقان الذرة عندما تكون مزهرة، وعندما تنضج الذرة في وقت مبكر يتم نزعها لتتاح للمحاصيل الأخرى النمو بشكل طبيعي. لاحظ الرحالة كيلي أن بعض نساء الفولاني يعملن في إزالة الأعشاب الضارة في الحقول[٤]. عندما يريد المزارع الفولاني تطهير حقله يقوم بتحديد الجزء الذي ينوي زراعته، ويمزق الكروم والشجيرات ويحرقها لينشر الرماد على الأرض، تتهيأ تبعاً لذلك هذه الأرض وتكون جاهزة لزرع القمح والأرز والذرة.[٥]

في شمال نيجيريا، حيث توجد العديد من مجموعات الفولاني مع قبائل الهوسا، نجد أن كلا الجنسين يعملون على الأرض. يستخدم الرجال مجرفة طويلة، وتحمل النساء سلة مليئة بالبذور، يقوم الرجل بحفر الأرض بالمجرفة مخلفاً حفراً صغيرة، تنثر فيها المرأة البذور وتغطيها بقدمها.

تتكون المنتجات الزراعية الرئيسية عند قبائل الفولاني من الدُّخن والأرز والقطن والتبغ. يزرعون نوعين من الأرز: واحد كبير وأبيض كثيراً ينمو على المرتفعات، والآخر أصغر منه ينمو في مياه المنحدرات. كما يمتلكون نوعين من الدُّخن، الفستق، الفاصولياء الصغيرة، البطاطا الحلوة، البصل، والزهور الصفراء[٦]. في بلاد الهوسا؛ تتكفل النساء بتخليص الغصن من البذور عن طريق دبابيس حديدية صغيرة.

يمكن أن نميز نوعين من الإنتاج الزراعي يرتبطان أشد الارتباط بالنظم الاجتماعية وبما يسود المجتمع من عادات وتقاليد: الإنتاج المعاشي أو الاستهلاكي، والإنتاج النقدي والتجاري. الإنتاج النقدي والتجاري لم تعرفه قبائل الفولاني إلا في مراحل متأخرة جداً بعد مجيء الاستعمار[٧]. الشائع عندهم هو إنتاج المحاصيل التي تكفي لتلبية متطلبات الأسرة، وقد يكون هناك فائض يُباع على المستوى

(١) John claudius London, An Encyclopedia of Ag- .riculture, London green, London, 1883, p.177

(٢) Bouet- willaumez, Commerce et traite des .noires, imprimerie nationale, paris, 1848, p.157

(٣) .Sankra, Opcit, p.135-136

(٤) Gozals, Opcit, p.190-.191

(٥) Michael watts. Silent violence (Food.Femine and peaxn try North ern Nigeria). university of .Georgia press, Georgic 2013, p.212-412

(٦) .Gozals, Opcit, p.491

(٧) الشعبيني، المرجع السابق، ص (١٧٤-١٧٧).

المحلي[١]. يخصص للإنتاج المعاشي جزءٌ كبير من الأرض المنتجة والقوى العاملة والجهد المبذول. يُستهلك جزءٌ كبير من هذا الإنتاج بواسطة الجماعة المنتجة، ولا يتطلب هذا النوع من الإنتاج طرقاً أو وسائل معقدة[٢].

يعتمد النظام بأكمله على حيوان للجرّ، اليد العاملة، والأدوات الرئيسية مثل المجرفة والفأس وغيرها.[٣] الوحدة الرئيسية في الإنتاج المعاشي هي البيت، الذي يتكون من الرجل وزوجته أو زوجاته وأبنائه. قد يضم البيت كذلك بعض الإخوة المتزوجين والأعمام، ويعمل كل هؤلاء كوحدة متعاونة في حقل واحد، تحت رئاسة رب البيت وإشرافه. تختلف مساحة الحقل الذي تقوم العائلة بزراعته باختلاف خصوبة الأرض، نوع المحصول، مهارة المزارع نفسه، وكذلك كثافة السكان في المنطقة وقربها[٤].

(ج) نظام الصناعة:

عُرفت قبائل الفولاني بامتهانها العديد من الحرف والصناعات، فقد اشتهرت بالصناعات الجلدية والفخار والطوب والنحت، أدت هذه الصناعات اليدوية التقليدية دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية للمجموعات الفلانية[٥]، حيث كان هناك العديد من الطبقات الحرفية التي تشرف على هذه الأعمال وتسوّقها محلياً وخارجياً، من بين هذه الطبقات طبقة Maboube، الذين كانوا يُعتبرون من أشهر النساجين الذين يتوارثون هذه المهنة كابراً عن كابر. أهم منتجاتهم التقليدية هي البطانيات المعروفة باسم «لبي شبانيا دهي»، وهي من نسيج صوف الأغنام المغزولة يدوياً، يبلغ طولها من ستة إلى ثمانية أقدام، وهي مكونة من شريط ضيق يربط بعضها البعض، وغالباً ما يكون هناك خطوط وأشرطة باللون الأسود والأحمر والأبيض، ويتوقف ذلك على حسب الطلب[٦]. عمل النسيج هو من الصناعات المحلية الرئيسية، حيث نجد أن كل عائلة تقوم بتدوير ونسج اللوحات والملابس أيضاً، يقوم الرجال بالنسيج والخياطة، بينما تتولى النساء تدوير ووضع القطن[٧].

أما الصناعات الطينية؛ فهي من الأعمال الدقيقة والمميزة، حيث تستغرق عملية صنع قطعة من الطين ما يقارب أربعة أيام إلى أسبوع لاستكمالها، حسب حالة الطقس. عادةً ما يتم إعداد قماش الطين بصنع عدد من شرائط القماش الفردية، وبعدها تتم خياطتها معاً، ليتم صبغ قطعة القماش بالكامل بمادة تدعى «بوجالون» Boglon، والتي تعمل كعنصر أساسي في التصميمات المرسومة بالطين باستخدام طين معد خصيصى لذلك. بعد ذلك؛ يتم تبييض بعض أجزاء النسيج بعد اكتمال العملية[٨].

بالإضافة إلى النسيج وصناعة الطين؛ برع الفولانيون أيضاً في نحت الخشب، كانوا يصنعون «القرع» أو ما يُسمّى calabashes، والذي كان يُستخدم لتوفير الأطعمة والمشروبات، ويوضع فيه حليب القطعان بعد حلبها. يتم نقش هذا القرع بمجموعة من الزخارف التجريدية والرسمية بألوان جميلة. كما كانوا يصنعون التماثيل الدقيقة والأثاث الذي يتم بيعه بعد ذلك في السوق.

المميز في أعمالهم أنها بسيطة الأدوات ولكنها أعمال فنية مبدعة. تُصنع المنحوتات الخشبية من خشب الأبنوس أو الأشجار الخشبية الصلبة الأخرى. خشب الأبنوس هو المفضل لديهم لأنه خشب قاسٍ وجميل، ويعطي لمعاناً جميلاً عندما يتم تلميعه[٩].

أما الصناعات المعدنية؛ فنجد أن الفولانيين يحتكرون هذه المهنة، حيث يُعتبرون الوحيدين الذين يعرفون كيفية استغلال مناجم المعادن. يروي الرحالة «وينتر بوتوم» أنه في فوتاجالون يقوم الفولانيون بحفر الأرض واستخراج الحديد

(١) Sankra, Opcit, p.115.

(٢) الشعبيني، المرجع السابق، ص١٧٤.

(٣) Sankra, Opcit, p.115.

(٤) الشعبيني، المرجع السابق، ص١٧٤.

(٥) Ki-zerbo, General history of Africa, jame, curey UNexo, Califonia, 1989.T I, p.65-76.

(٦) Sankra, Opcit, p.29.

(٧) Gozals, Opcit, P.591.

(٨) Sankra, Opcit, p.29-30.

(٩) Ibid, p.33-43.

القابـــل للطرق. يصنع الحدادون الســـيوف والرماح، وحتى الأسلحة والأقفال وغيرها[١].

كمـــا يتم تصنيع الأعمال النحاســـية، والتـــي تُعدّ من العمليات الشـــاقة جداً، حيث يتم تشكيل الشمع باليد على نار مفتوحة، حتى يتبع تصميم القالب المناســـب، بعد ذلك يتم تهذيب الشـــمع في مســـحوق ناعم جداً عدة مرات. يتم تســـخين الصلصال حتى يذوب الشمع، وفي النهاية يُسكب النحاس المصهور لاستبدال قالب الشمع القديم.

(د) الحرف اليدوية والفنون التقليدية عند الفولاني:

تُعد الأقـــراط الضخمة التي ترتديها المرأة الفلانية من أبرز منتجات الصناعة النحاسية، تكون هذه الأقراط مرصعة بأشياء براقة على شكل هلالين مربوطين بخيط أحمر، وثقيلة بما يكفي لشـــد شـــحمتي الأذن. غالباً ما تُصنع من النحاس وتُغلف بورق ذهبي ليبدو كأنها مصنوعة من الذهب[٢].

كمـــا تُعد صناعة الفخار من الحـــرف التقليدية الأكثر طلبـــاً وإقبالاً، تُســـتخدم هذه المنتجات للأمـــور المنزلية والطقوســـية. تتميز أنماط الفخار الفولاني بتنوع ديكوراتها وألوانها المختلفة. فـــي مجتمع الفولاني تقوم طبقة خاصة تُســـمى «مابوجي» بالتصنيع الفعلي للوعاء، مما يُظهر تبايناً في الشـــكل، والتقعر، وأشكال حافة الوعاء. ورغم ذلك؛ فإن عملية إنتاج الفخار محلياً محدودة جداً، لذا لا يتم تسويقها أو تداولها خارجياً[٣].

خاتمة:

في ختـــام هذه الدراســـة، حول قبائـــل الفلان خلال القرنين الثامن عشـــر والتاسع عشر، يتضح أن هذه القبائل شكلت جزءاً أساسياً من النســـيج الاجتماعي والثقافي في منطقـــة غرب إفريقيـــا. من خلال تحليل التـــراث الثقافي والحياة الاجتماعية والاقتصادية للفلان؛ تمكنّا من تســـليط الضوء علـــى عمق تعقيد هـــذه المجتمعـــات وتفاعلها مع العوامل الخارجية والداخلية.

لقد قدمت الكتابات التاريخية للمستكشفين الأوروبيين رؤى قيّمة حول العادات والتقاليد التي تميز قبائل الفلان، بما في ذلـــك النظام الاجتماعي المعقد والتركيبات الاقتصادية التي تعتمد على الرعي والتجارة.

تُظهر هذه الكتابات أيضاً كيف أن قبائل الفلان لم تكن فقـــط تتفاعل مع العالم الخارجي؛ بـــل إنها أيضاً حافظت على عناصر ثقافية أصيلة، واســـتمرت في تطويرها بطرق تتماشى مع التغيرات البيئية والسياسية.

فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية؛ يُشـــير البحث إلى أن الفلان كانوا يتمتعون بقدرة عالية على التكيف مع الظروف المتغيرة، وهو ما ســـاعدهم في الحفاظ على اســـتقرارهم الاجتماعي على الرغم من التحديات التي واجهوها. التبادل التجاري والعلاقات الاقتصادية التي أقاموها مع المجتمعات المجاورة؛ ساعدت في تعزيز قدرتهم على التكيف والازدهار في بيئة غير مستقرة.

تتطلب دراسة قبائل الفلان في هذه الفترة، إذن، فهماً عميقـــاً للعوامل التاريخية والثقافية التي شـــكلت تطورهم. تكشف الدراســـة عن أهمية الدور الذي لعبته هذه القبائل في تاريخ غـــرب إفريقيا، وتأثيرها في التفاعلات الإقليمية والدولية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

إن التفاعل بين الفلان والمستكشـــفين الأوروبيين يوفر لنا دروســـاً قيّمة حـــول كيفية تأثير القـــوى الخارجية في المجتمعات المحلية، وكيفية استجابة هذه المجتمعات لهذه التأثيرات.

أخيراً؛ فإن التعمق في دراســـة التراث الثقافي والحياة الاجتماعية والاقتصادية للفلان يُظهر كيف يمكن للتاريخ أن يعكس ديناميات القوة والتغيير، ويقدّم فهماً أعمق للأنساق الثقافية التي تُعتبر جزءاً من الهوية الإنسانية المشتركة.

إن هذه الدراســـة ليســـت مجرد اســـتعراض للحقائق التاريخية؛ بل هي دعوة للتفكر في كيفية تفاعل المجتمعات مع التغيرات الكبيـــرة، وكيفية الحفاظ على هويتها الثقافية في مواجهة التحديات العالمية ■

---

(١) Gozals, Opcit. p.196-791.

(٢) Villiers Marq and Sheila Hirthe. INTO AFRICA (Ajourney through the ancient empiers). key porter Books.canada.1997, p.281-282.

(٣) Sankra, Opcit, p.34-53.